

تمهيد:

إن مهنة التمريض هي إحدى المهن المحورية في النظام الصحي والتي تسير كل التطورات و التغيرات التي تحدث من حولها، وإدراك المجتمعات لهذا التطور عزز من حق المنتفعين بالمطالبة بتوفير رعاية صحية لهم وتقييمها بشكل متميز، بحيث تكون شاملة لكافة الجوانب المتعلقة بصحة الإنسان.

فليس هناك خلاف على أهمية ومكانة مهنة التمريض، فهي من المهن التي تتعامل مع الإنسان في أوقات ضعفه والتي يكون فيها في أشد الحاجة إلى من يأخذ بيده ويلبي حاجاته البدنية والنفسية والعاطفية، فيفيض عليه من رعايته ليخفف عن آلامه ويخرجه من إحساسه بالضعف ويعيد إليه ثقته بنفسه وبالحياة.

1- تعريف التمريض:

التمريض مهنة أساسية في مجال الرعاية الصحية يقع على عاتق العاملين فيها من ممرضين وممرضات، أدوار هامة في عملية تقديم الخدمة الصحية الآمنة للمرضى لذلك نجد عدة تعريفات مختلفة لمصطلح التمريض وما يشمله من الممرضين والممرضات وهذا ما سوف نعرضه.

1-1- التمريض:

هو علم وفن ومهارة يتم من خلاله تقديم الخدمات الصحية للمجتمع فهو علم لأنه يعتمد على الكثير من العلوم الأساسية كعلم التشريح و وظائف الأعضاء وهو فن ومهارة لأنه يتطلب الدقة والسرعة في البديهة مع الإخلاص (علي الصقل، 1982: 14).

فالتمريض هو الرعاية الشاملة للمريض من النواحي النفسية والاجتماعية وهي مهنة تخدم المرضى والأصحاء وتهتم بوقاية المجتمع كله من الأمراض ورفع المستوى الصحي وكفالة الصحة للجميع (محمد سويدان، 1988: 24).

وتعرفه جمعية التمريض الأمريكية (Ana, 1980) كالتالي "أن التمريض تشخيص وعلاج للمشاكل الصحية الحالية أو المتوقع حدوثها لاستجابات الإنسان (Kozier & Erb, 1991 : 3).

وعرفه علي عابد (1999) بأنه الخدمة المقدمة للبشر والتي تساعد الإنسان على الاستعادة أو الحفاظ على حالة الجسم والعقل في مستواها الطبيعي والمساعدة في إزالة المعاناة الجسدية والروحانية والقلق النفسي (ابتسام أحمد، 2008: 19).

وتعرفه (شاهين فارسين، 1990: 32) بأنه مساعدة الفرد المريض أو المعافى من أجل القيام بتلك النشاطات التي تساهم في توفير الصحة والشفاء من المرض التي يمكن أن يقوم بها دون أن يساعده أحد إن امتلك القدرة الضرورية.

وتتبنى الباحثة التعريف التالي: التمريض هو حلقة وطريقة تقديم مساعدة للبشر وليس سلعة مادية وتشتق مهنة التمريض من الأعمال التي يتم اختيارها عمدا من قبل الممرضات والقيام بها من أجل مساعدة الأفراد والمجموعات وتعطي اهتماما خاصا لحاجات الأفراد والعناية الذاتية وتتكفل بذلك بشكل مستمر من أجل المحافظة على الحياة والصحة والشفاء من الأمراض والإصابات ومن أجل التعامل مع المؤثرات (شاهين فارسين، 1990: 32).

ومن هذه التعريفات نرى أن التمريض هو صحة المجتمع فهو لا يهتم بالفرد فقط بل يهتم بالعائلة والمجتمع والبيئة والمحيط بما فيه الجانب النفسي (قريب الدرازي وآخرون، 2006: 20).

1-2- تعريف الممرض/الممرضة:

وهم الأشخاص الذين يقومون بتقديم الخدمات التمريضية سواء كانوا قد أكملوا دراسة التمريض في مدرسة أو كلية متوسطة أو معهد متوسط أو جامعة وبناءا عليه فإن الممرض هو شخص مهني لديه الحصيلة المعرفية والمهارات والثقة بالنفس التي تمكنه من العمل في مختلف الوحدات الصحية (ماهر الشافعي، 2002: 8).

وتتبنى الباحثة التعريف التالي: الممرض هو ذلك الشخص الذي يقوم بتقديم الخدمات التمريضية سواء أكان هذا الشخص قد أكمل دراسة التمريض في مدرسة كلية، معهد، أو تدرّب على تقديم الخدمات التمريضية أثناء عمله في أحد المستشفيات أو المراكز الصحية وبناءا عليه فإن الممرض هو ذلك الشخص الذي يسمح له بتقديم خدمات تمريضية تهدف إلى إدامة الصحة أو العناية بالمريض (خزاولة، 1997: 223).

ومن هذه التعريفات نستطيع أن نقول أن الممرض هو إنسان مهني لديه الحصيلة المعرفية والمهارات والثقة بالنفس التي تمكنه من العمل في مختلف الوحدات الصحية وهو عنصر نشط في إدارة المؤسسة الصحية.

2- تاريخ التمريض:

التاريخ هو أساس المعرفة يساعد في تفهم الحاضر ورؤية المستقبل، ومهنة التمريض من المهن التي تمتد حدودها عبر التاريخ حتى أن البعض أشار إلى أن تاريخ التمريض هو تاريخ الإنسان على الأرض.

1-2- التمريض في التاريخ الإسلامي:

لقد عرف العرب في جاهليتهم الكثير من أسماء الأمراض والعقاقير والأدوية مما يقطع بتمرس العرب قبل الإسلام في صناعة الطب والعقاقير، وكان الطب والتمريض في

ذلك العصر يقوم بهما شخص واحد وكان هناك من يقوم بهذه المهنة من بنات حكم العرب مثل (بنت عامر بن الظرب) فقد مارست المداواة مع أن أبيها كان أحد الحكام العرب، مما يدل على مكانة هذه المهن ومدى احترام مزاوليها (ماهر سعاد، 1970:).

وقد ورد أول ذكر لمهنة التمريض في تاريخ الطب في عصر النبوة، فقد نشأت هذه المهنة لخدمة جيوش المسلمين في حروبهم ضد الكفار والمشركين، وكانت حينذاك قاصرة على النساء إذ أن الرجال كانوا ينشغلون بالقتال وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأذن للصحابيات بالخروج في مغازيه للتمريض ويجيز من خرجن دون إذن.

وكانت مهمة الصحابيات تتضمن السير مع الجنود لحمل قذور الماء والأربطة الأزمة لتضميد الجروح والمساعدة في نقل الجرحى، وتمريضهم وخدمتهم وكانوا يطلقون على هؤلاء النساء (الآسيات أو الأواسي)، وقد سمين بذلك لأنهن يعالجن و يواسين (الخطيب عماد إبراهيم، 1988:) والمواساة من الناحية اللغوية هي المشاركة الوجدانية، وهذا يعني أن المرأة التي كانت تقوم بعملية المداواة والتمريض لما يقتصر عملها على النواحي المادية فحسب، بل شمل كذلك الناحية النفسية الوجدانية وهذا أرقى ما وصل إليه علم التمريض في العصر الحديث (ماهر سعاد، 1970:).

ومن أشهر هؤلاء الأواسي أو الممرضات كعبية بنت الأسلمية " رفيده " ولقد لقبت بأول ممرضة في الإسلام، وفي عام 1978 وتقديرا لكفاحها ورسالتها الإنسانية كمرضة، فقد قرر مؤتمر وزراء الصحة العرب منح الأوائل من خريجات معاهد التمريض في دول شرق الأوسط جائزة تسمى جائزة رفيده.

وهناك كثيرات غيرها قمن بهذه المهنة الرفيعة عملنا على بيان العلاقة الوثيقة بين التمريض و العقيدة الدينية، بحيث لا يؤدي التمريض إلى خير إلا إذا كانت القائمة به مؤمنة بالله سبحانه و تعالى (الخطيب عماد إبراهيم، 1988:).

ولقد تطورت هذه المهنة عبر العصور الإسلامية تبعاً لتطور علوم الطب، فانتشرت المستشفيات الإسلامية (البيمارستانات) لعصور الحضارة الإسلامية وكان أولها بيمارستان الخليفة الأموي بن عبد الملك والذي بناه سنة 88هـ (ماهر سعاد، 1970). ولقد كانت هذه البيمارستانات أقرب ما تكون بالمستشفيات الحديثة، حيث كانت تضم أجنحة متخصصة ومتعددة بعضها للرجال وأخرى للنساء وكانت وظيفة الممرض أو الممرضة تقديم المخصص من الطعام للمرضى، وإعطائهم الأدوية والمشروبات التي وصفت لهم للتأكد من أن كل مريض قد تناول ما وصف له، وما إن انتشر الإسلام حتى بدأ العرب نهضتهم وحملوا مشاعل الحضارة بعد أن وعوا العلوم الطبية عن الرومان والإغريق والمصريين، وقاموا بترجمة الكتب اليونانية الهندية وغيرها وأقاموا المعاهد العلمية والمستشفيات التعليمية ومنها مستشفى المنصوري في القاهرة، ومستشفى النوري في دمشق وغيرها وفي عام 1293هـ أقام الخليفة المنصور مستشفى تعليمياً كبيراً بالقاهرة وكان يقوم بالتمريض فيه هيئة مدربة من الرجال والنساء .

ويواكب تاريخ التمريض تطور مستمر، حيث بدأ المريض يدرس كعلم مستقل في المدارس خاصة في عام 1960 (ابتسام أحمد، 2008: 32) ومن هنا نرى ما كان لمهنة التمريض من أهمية ودور كبيرين في عصور الإسلام الأولى، والتي امتدت وانتشرت في أصقاع المعمورة مع انتشار الإسلام.

2-2- التمريض في العصر الحديث:

2-2-1- التمريض في الدول الغربية:

بدأ التمريض من خلال تأسيس جمعية أخوات البر في أوروبا عام 1633م والتي ضمت إليها علاوة على الراهبات أعضاء آخرين، وقد نمت هذه الجمعية حتى أصبحت الآن من أكبر الهيئات التنظيمية لشؤون التمريض في العالم (سويدان محمد ، 1988)

كما تأثرت المستشفيات بشكل كبير في الثورة الصناعية ومع نمو وتطور المستشفيات تطورت مهنة الطب، مما زاد الحاجة إلى رفع كفاءة خدمات التمريض، ففي أوائل القرن 19م قام "فيلدز" وزوجته في عام 1836م ببناء معهد "كيسروث" بألمانيا كمستشفى للفقراء، ومعهدا للتمريض وهو المعهد الذي تخرجت منه "فلورنس نايتنجيل" والتي عهد إليها فيما بعد بتنظيم التمريض أثناء حرب القدم 1854م، فلما انتهت الحرب وعادت إلى إنجلترا قامت بدعوة تأسيس معهد التمريض سمي باسمها في عام 1860م وألحق بمستشفى سانت توماس بلندن (سويدان محمد زكي، 1988:) والتي يرجع الفضل في وضع أساس التعليم التمريضي ولقد استحقت عن جدارة لقب - سيدة المصباح - في الظلمة لتتفقد المرضى، وقد قامت هذه السيدة بإعداد مناهج مدرسة التمريض من أفكارها الخاصة ومن مفهومها للأعمال التي يجب أن تكون الممرضة قادرة على أدائها، وقد وضعت "فلورنس نايتنجيل" بصمتها الواضحة على التعليم التمريضي لذلك تعتبر هذه السيدة مؤسسة لقواعد التمريض الحديث وتحتفل جمعيات وهو يوم ميلاد السيدة "فلورنس نايتنجيل" صاحبة الفضل في تحديث مهنة التمريض، وتنظيم قواعدها ورفع مستواها (الخطيب عماد إبراهيم، 1988).

وحيث أن التطور في التعليم التمريضي أصبح مرغوبا فقد ظهر نوعان من البرامج نتيجة للاحتياج المتزايد على الممرضات المدربات، الأول إعداد الممرضات الفنيات والذي يؤكد على الفنية في التمريض، ويتم تنفيذه تحت إشراف ممرضة مؤهلة والثاني يتم تنفيذه في كليات التمريض المتوسطة، وقد ظهرت أول مجلة رسمية للممرضات عام 1900م وهي "مجلة التمريض الأمريكية".

2-2-2- التمرريض في الدول العربية:

في مصر ظهر تعليم البنين سابقا لتعليم البنات بعشرات السنين، وعندما دعت الحاجة إلى أن تؤدي المرأة بعض الأعمال التي لا يقر المجتمع أن يؤديها الرجال مثل التوليد، وظهرت أول مدرسة للبنات في مصر عام 1832م. وكان سبب إنشائها هو الرغبة في إعداد مولدات متعلمات بدلا من القابلات الجاهلات في ذلك الوقت، وقد عينت السيدة "جولييت" في عام 1832 م المولدة ذات الخبرة الكبيرة مدرسة للأولاد في تلك المدرسة، أما الإشراف على الطالبات وتدريب مواد التمريض سواء النظرية أو العملية فقد ترك لمرضات انجليزيات ومع التوسع الكبير في الخدمات الصحية ثم التوسع في إنشاء مدارس التمريض في جميع محافظات مصر، وتعتبر مصر من أوائل الدول في الشرق الأوسط التي أنشأت معاهد عليا للتمريض تمنح درجة البكالوريوس، ففي عام 1947م أنشأت جامعة عين شمس بالقاهرة، وتشمل على جميع الكليات الطبية ومدارس للتمريض والقابلة منذ عام 1956م، وفي عام 1975م صدر جمهوري بإنشاء نقابة التمريض في مصر (حاتم عبد القادر، 1970:).

أما في السودان فقد أنشأت كلية التمريض في الخرطوم عام 1956م وتلتحق بها الطالبات بعدم إتمام الدراسة الثانوية.

وفي الأردن أنشأت كلية التمريض عام 1972م، ولتحقيق مستويات متقدمة في المجال التمريض والخدمات الصحية الأخرى تم افتتاح برنامج الماجستير في التمريض عام 1986م.

وفي سوريا تم إنشاء أول مدرسة للتمريض في عام 1975م وكانت تقبل الطالبات الحاصلات على الشهادة الابتدائية، وفي عام 1964م تم تطوير مناهج الدراسة بإضافة

العلوم الاجتماعية والنفسية والإسعاف الأولي والإنعاش وبنك الدم، مما شجع الفتيات على الالتحاق بمدارس التمريض لما تفتحه لهن من آفاق عمل جديدة.

وفي فلسطين بدأ التمريض علما يدرس في مدارس القدس عام 1925م وفي غزة بدأت المدرسة المعمدانية بتدريس التمريض عام 1956م مدرسة الحكيمات (1976) (ابتسام أحمد، 2008: 32).

أما في لبنان فقد افتتحت أول مدرسة للتمريض عام 1905م ويوجد العديد من مدارس التمريض الموزعة على أنحاء البلاد.

وفي الكويت، بدأ الاهتمام بالتعليم الصحي في الكويت في بداية الخمسينات واعتمدت خطط التطوير والإنشاء للعديد من المدارس والمعاهد لتزويد البلاد بحاجتها من القوى العاملة، ولقد أنشأت أول مدرسة للتمريض فيها عام 1962م، كما أنشأت مدرسة مساعدات التمريض عام 1964م.

وفي البحرين أنشأت أول كلية للعلوم الصحية عام 1975م، وهي مؤسسة حكومية تتبع في إدارتها وتمويلها وزارة الصحة، وفي الإمارات تم إنشاء مدرسة التمريض عام 1972م.

وفي قطر أنشأت مدرسة للتمريض عام 1969م، وفي سلطنة عمان أنشأت مدرسة التمريض عام 1975م والتي تسمى مدرسة الرحمة للتمريض.

وفي فلسطين عام 1992م بدأ أول برنامج باكالوريوس في كلية فلسطين للتمريض التابعة لوزارة الصحة (ابتسام أحمد، 2008: 32).

ومن هنا يتبين لنا أهمية ومكانة مهنة التمريض لما تقدمه من أدوار كبيرة في خدمة المجتمع والتي امتدت من العصور الإسلامية لأولى إلى العصر الحديث.

3- أسس التمريض:

أداء التمريض على الوجه الأكمل يتطلب من ممارسي هذه المهنة مراعاة عدد من الأسس الهامة المرتبطة ببعضها ارتباطا وثيقا والتي ذكرها (علي الصقل، 1982: 114-115) كما يلي:

3-1- توفر المثل العليا الأخلاقية والصحية وأهمها:

- روح العطف و الشفقة.
- الشعور بالمسؤولية ومحاسبة النفس على التقصير.
- العناية والملاحظة لأية أعراض طارئة على المريض وتتبيه الطبيب إليها.
- روح التعاون وذلك بين الطبيب وممارسي مهنة التمريض وأهل المريض حتى يتم العلاج.
- الجد والمثابرة فيجب ألا ييأس ممارسو مهنة التمريض أو يملوا من طول مدة التمريض وألا يغضبوا من معاملة أي مريض.
- حفظ الأسرار فبحكم طبيعة العمل يتسنى لممارسي التمريض معرفة أسرار المرضى وعائلاتهم لذا لا بد أن يأتمنوا على الأسرار ويحفظوها.

3-2- علاقة ممارسو مهنة التمريض بالمريض:

إن ممارسي مهنة التمريض يقوموا بأنبل الأعمال الإنسانية، ولذا فإن عليهم القيام بخدمة المريض بطريقة جيدة نظرا لما قد يصيبه من حالات ومؤثرات نفسية نتيجة للمرض، فيكون أكثر حساسية منه في حالته السليمة وعليهم أن يكونوا صبورين ومثابرين وبشوشين في خدمة المريض، وأن يتعلموا طرق كسب تعاونه في تنفيذ العلاج، ويتأتى ذلك من خلال دراسة النواحي المختلفة للمريض سواء الثقافية أو النفسية أو الدينية أو الاجتماعية.

3-3- علاقة ممارسو مهنة التمريض بالفريق الطبي:

إن ممارسي مهنة التمريض هم حلقة الاتصال الهامة في جميع الأعمال الطبية وعليهم أن يعاونوا الطبيب في المساعدة لعلاج المرضى من مبدأ الاحترام والطاعة والتعاون، كما يتضمن ذلك أسلوب عملهم الذي يعتمد على التعاون والمساعدة مع زملائهم في العمل.

3-4- علاقة ممارسو مهنة التمريض بالمجتمع:

يقوم ممارسو مهنة التمريض بالاختلاط بجميع أفراد المجتمع فعليهم الالتزام بالأخلاق الحميدة، والسلوك المؤدب في التعامل مع المرضى، كما يقع على عاتقه رفع المستوى الصحي للمجتمع والحرص على وقايته من الأمراض والأوبئة، كما على ممارسي مهنة التمريض أن يتعرفوا على العادات والتقاليد والسلوك الديني والمستوى الثقافي للمجتمع، حتى يسهل عليهم اختيار الطرق الصحيحة في علاج المرضى.

4- أهداف التمريض:

هنالك مجموعة من الأهداف العامة للتمريض و التي حددها محمد تركي سويدان (1988: 115) فيما يلي :

- المساعدة في تقديم الخدمة الطبية والعلاجية للمرضى.
- الاهتمام بتوفير خدمات الرعاية الصحية اللازمة للنهوض بصحة المجتمع.
- الحرص على وقاية المجتمع من الأمراض والأوبئة لضمان حياة صحية سليمة لكل فرد .
- تقديم تثقيف الصحي للأفراد لزيادة مستوى الوعي لدى المجتمع.
- التعاون مع جميع الأقسام لتحقيق الأهداف الرئيسية للمستشفى.
- بذل أقصى جهد لتقديم الخدمات الإسعافية في الحالات الطارئة وعلاج المصابين.
- استعمال واختيار الأجهزة بطريقة مناسبة.

- إعطاء الحرية للمريض للتعبير عن شعوره بحرية تامة.
- تقديم الرعاية التمريضية المستمرة للمريض من خلال تقييم احتياجاته بمهارة تامة.
- المواصلة مع أهل المريض وذلك من خلال تشجيعهم للمساعدة في رعاية المريض.
- التعاون مع جميع أقسام المستشفى لإنجاز أهداف المستشفى العامة (يسف قزاقزة ، 2002: 24-25).

5- دور ممارسي مهنة التمريض:

- التمريض يعني إمداد المجتمع بخدمات علاجية في طبيعتها تساعد على بقاء الفرد صحيحا كما تمنع المضاعفات الناتجة عن الأمراض والإصابات، ومن أهم واجبات ممارسي المهنة كما ذكرها (الحسن الجنابي، 1984: 116) ما يلي:
- تقديم العناية التمريضية الشاملة فيقوم ممارس المهنة بتوفير المتطلبات الشخص الذي يراعه الجسمانية والعقلية والعاطفية، سواء الوقاية منها أو العلاجية.
- تنفيذ الخطة العلاجية للطبيب وأداء احتياجات المريض التمريضية في حدود اختصاصهم الفنية.
- تنسيق خطة الرعاية التمريضية للمريض مع باقي أعضاء الفريق الطبي، وأداء مراقبة كل الإجراءات التمريضية اللازمة لشفاء المريض.
- يستخدم الممرض الأساليب التي تساعد في إنجاح الشفاء الطبيعي كتغيير الضمادات المعقمة وإعطاء الأدوية للمرضي وغيرها من مهارات.
- إن الممرض يدعم المريض عن طريق اتجاهاته وأعماله التي تظهر اهتمامه برفاهية المريض وتقبله كإنسان.

- يمارس التخطيط من خلال جميع مراحل عملية التمريض من أجل تحقيق الأهداف المتوقعة من العناية الصحية (ابتسام أحمد، 2008: 34).

- إن هذه الأدوار النبيلة تجعل الممرض وكيف مهاراته النفسية والجسمية بأساليب العناية من أجل صحة المجتمع فهو يهدف إلى إدامة الصحة والعناية بالمريض.

خلاصة:

يمكن القول بأن مهنة التمريض قديمة قدم الإنسان وقد عرفت تطورات عبر مراحل زمنية مختلفة وهي تتطلب من ممارستها العديد من الصفات النفسية والأخلاقية والاجتماعية. كما أن لها دورا هاما فهي تعتبر مطلبا هاما في المجتمع وهذا ما يتجلى من خلال الخدمات الصحية والنفسية والإنسانية التي تقدمها لأفراد المجتمع، إلا أن طبيعة عملها والظروف المحيطة بها تجعل من ممارستها أكثر متانة وصلابة نفسية.